



العلاقة بين الحاكم والشعب ليست علاقة نفعية، فحسب، والنظرة إليه تقديرًا، أو رفضًا، ليست مبنية، فقط على أداء مؤسساته، وحسن رعايتها، هذا طبعًا في البلد التي تبني دولها على المؤسسات..

العلاقة تقوم على ذلك، وعلى احترام الحاكم **لقيم هذا الشعب**، ووفائه للعقد الذي قامت العلاقة بينهما عليه، وفي صميم ذلك قدرته على حماية شعبه، وتوفير الأمن بكل تجلياته لهم؛ فأين تذهب هذه العلاقة حين يتحول الحاكم قاتلًا للشعب، لرجاله ونسائه، وأطفاله وشبابه؟!

العلاقة بين الدولة وشعبها علاقة **عضوية**. صحيح أنها ليست كذلك في معظم البلدان العربية، لكن التراكمات الكمية، تؤدي - كما يُقال - إلى تغيرات نوعية؛ فبعد أن قتل يشار الأسد ما يزيد عن سبعة آلاف من أبناء شعبه، واعتقل عشرات الآلاف ورملآف النساء، ودمّر أسرًا بأكملها، وعادى قطاعات، بل اقتحم مدنًا وحاصرها، فعل العدو شبراً بشبر، وذراعًا بذراع... ألم يَغُدو محتلاً مجرماً وغريباً؟!

نطرح هذه الأسئلة، ونحن ندخل مرحلة جديدة يُعاد فيها ترتيب العلاقة بين الشعوب العربية والدول التي تحكمها، أو السلطات التي تضبطها؛ لأن مفهوم الدولة أوسع من مجرد جهات تنفيذية تحكم إلى حزب، أو أسرة، إنها مجموعة من المؤسسات التي انبثقت من إرادة الشعب، ووُجّدت من أجله، تتبدل الحكومات، وتبقى الدولة.

لكن **الحاصل في بلاد عربية كثيرة**، ومنها سوريا التي تشهد استقطاباً يهدّد بانقسامات عميقة في نسيج المجتمع، هو وثوب فتنة إلى الحكم، في ظروف غير طبيعية، على غفلة من الناس، ثم استئثارها بالحكم، وثروات البلد ومقدراته، دونهم، وفوق هذا، الكتم على أنفاس الناس، وتخوين كل من لا ينخرط في خطابهم الانتقائي الشعاراتي.

هذا الوثوب غير الشرعي إلى الحكم قائم على حساب **شخصية الدولة**، وتمثيلها للشعب كله، ولذلك صُممّت أجهزة الأمن والفرق الخاصة؛ من أجل حماية هذه الطّغمة الفاسدة للحكم والإرادة.

ليتجلى دورها في هذا الوقت الذي خرجت فيه جموع الغاضبين، ومن فاض بهم كيل التهميش.. ليتجلى دورها في الدفاع المجنون عن هذه السلطات، ولو أدى ذلك إلى تخريب صورة الجيش في نظر أبناء وطنه، والسيطرة على مهمته العليا في

حماية البلاد من أيّ عدوan خارجي.

ولو أدى هذا الانفلاتُ الأهوجُ من تلك الفرقـة الخاصة (الرابـعة) العمـاء الـولـاء إلى قـصـف الأـحـيـاء السـكـنـية وـتـروـيعـ الـأـهـالـيـ، فيـ كلـ المـنـاطـقـ المـنـفـضـةـ، حتـىـ لوـ خـلـتـ تـلـكـ المـنـاطـقـ منـ أـيـةـ شـبـهـ بـوـجـودـ جـمـاعـاتـ مـسـلـحةـ، كـمـاـ حدـثـ مـارـاـ فيـ قـلـبـ العاصـمـةـ دـمـشـقـ، وـمـنـهـ حـيـ الـبـرـزـةـ. مـنـ الـواـضـحـ أـنـ النـظـمـ الرـاسـخـ لـاـ تـصـرـفـ بـهـاـ الـقـدـرـ مـنـ الـوـحـشـيـةـ، وـلـاـ تـحـتـاجـ إـلـيـهـ، وـلـكـ مـنـ يـتـورـطـ فـيـ هـذـاـ الـمـنـحدـرـ إـنـمـاـ هـوـ الـخـافـفـ حـتـىـ الـعـداـوـةـ، وـالـيـائـسـ حـتـىـ قـطـعـ كـلـ الـخـيـوطـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ فـئـاتـ وـاسـعـةـ مـنـ شـعـبـهـ.

بالـطـبعـ لـاـ يـمـكـنـ لـلـعـلـقـةـ أـنـ تـنـكـشـفـ سـافـرـةـ إـلـىـ عـلـاقـةـ مـحـتـلـ؛ لـأـنـهـ فـيـ الـأـسـاسـ لـمـ تـبـنـ عـلـىـ ذـلـكـ، هـذـاـ سـبـبـ، وـالـسـبـبـ الثـانـيـ، أـوـضـحـ، وـهـوـ أـنـ الـطـغـمـةـ الـحـاكـمـةـ لـيـسـ لـهـ شـعـبـ آخـرـ غـيـرـ هـذـاـ الشـعـبـ، كـمـاـ هـوـ حـالـ (إـسـرـائـيلـ) فـيـ فـلـسـطـيـنـ، مـثـلـاـ. أـمـاـ الـعـلـوـيـوـنـ الـذـيـنـ يـمـثـلـونـ قـرـابـةـ 8%ـ حـسـبـ بـعـضـ الـتـقـدـيرـاتــ. فـهـمـ لـاـ يـقـوـونـ عـلـىـ التـصـدـيـ لـمـاـ تـبـقـيـ مـنـ الشـعـبـ فـيـ سـوـرـيـةـ، فـضـلـاـ عـنـ كـوـنـهـمـ، لـيـسـوـاـ مـحـسـوبـيـنـ مـعـ الـنـظـمـ؛ فـقـدـ أـصـدـرـتـ مـجـمـوعـةـ مـنـ الـمـتـقـفـيـنـ الـعـلـوـيـوـنـ بـيـانـاـ جـرـيـاـ فـضـحـوـاـ فـيـ مـحاـولـاتـ الـنـظـمـ السـوـرـيـيـ رـبـطـ الـطـائـفـةـ الـعـلـوـيـةـ بـهـ وـبـنـظـامـهـ..

وـدـعـواـ الـمـوـاـطـنـيـنـ السـوـرـيـيـنـ الـعـلـوـيـيـنـ وـأـبـنـاءـ الـأـقـلـيـاتـ الـدـيـنـيـةـ وـالـقـوـمـيـةـ الـمـتـخـوـفـيـنـ مـمـاـ سـيـلـيـ اـنـهـيـارـ الـنـظـامـ إـلـىـ الـمـشـارـكـةـ فـيـ إـسـقـاطـ الـنـظـامـ الـقـمـعـيـ، وـالـمـسـاـهـمـةـ فـيـ بـنـاءـ الـجـمـهـورـيـةـ السـوـرـيـةـ الـجـدـيـدـةـ، دـوـلـةـ الـقـانـونـ وـالـمـوـاـطـنـةـ.

كـمـاـ أـكـدـواـ عـلـىـ وـحدـةـ الشـعـبـ السـوـرـيـيـ بـكـلـ أـطـيـافـهـ الـدـيـنـيـةـ وـالـقـوـمـيـةـ، وـالـعـمـلـ عـلـىـ بـنـاءـ دـوـلـةـ حـرـةـ دـيمـقـراـطـيـةـ تـحـفـظـ حـقـوقـ مـوـاـطـنـيـهـاـ بـالـتـسـاـوـيـ، وـهـذـاـ لـاـ يـتـمـ إـلـاـ بـإـسـقـاطـ الـنـظـامـ الـاـسـتـبـداـرـيـ الـحـالـيـ.

وـلـاـ يـقـتـصـرـ الـأـمـرـ عـلـىـ الـمـتـقـفـيـنـ الـعـلـوـيـيـنـ؛ فـبـحـسـبـ عـضـوـ الـمـجـلـسـ الـوـطـنـيـ السـوـرـيـيـ، خـالـدـ كـمـالـ، أـنـ عـدـدـ كـبـيرـاـ مـنـ الـعـلـوـيـيـنـ أـكـدـواـ لـهـمـ أـنـهـمـ ظـلـمـوـاـ مـنـ الـأـسـدـ أـكـثـرـ مـاـ ظـلـمـ الـآخـرـونـ.

وـفـوـقـ ذـلـكـ فـإـنـ زـعـمـاءـ هـذـهـ الـطـائـفـةـ وـمـشـاـيـخـهـاـ يـسـتـبـعـ أـنـ يـتـصـفـوـ بـضـيـقـ الـأـفـقـ، أـوـ قـصـرـ الـنـظـرـ؛ فـيـنـسـاقـوـاـ وـرـاءـ الـأـسـدـ وـعـصـابـاتـ، وـيـقـطـعـوـاـ كـلـ الـوـشـائـجـ الـتـيـ تـرـبـطـهـمـ بـأـبـنـاءـ وـطـنـهـمـ، وـأـبـنـاءـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ الـآخـرـينـ.

وـالـمـرـجـحـ أـنـ يـنـهـجـوـاـ نـهـجـ الـزـعـيمـ الدـرـزـيـ وـلـيـدـ جـنـبـلـاطـ الـذـيـ – عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ تـقـلـبـاتـهـ الـكـثـيـرـ وـمـرـاـوـغـاتـهـ مـنـ عـدـوـ إـلـىـ صـدـيقـ – يـظـلـ يـلـحـ، فـيـ خـطـابـهـ إـلـىـ طـائـفـهـ، عـلـىـ أـهـمـيـةـ اـنـدـمـاجـ الدـرـوزـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ، وـأـنـ لـاـ يـتـقـوـقـعـوـاـ عـلـىـ أـنـفـسـهـمـ، حـتـىـ فـيـ الـأـوـقـاتـ الـعـادـيـةـ، وـحـتـىـ لـوـ كـانـ هـذـاـ التـقـوـقـ لـاـ يـعـنـيـ الدـخـولـ فـيـ صـرـاعـاتـ مـعـ الـأـغـلـيـةـ.

بـالـطـبعـ هـذـهـ الـمـنـطـقـةـ الـذـيـ يـوـثـرـ الـانـهـيـازـ إـلـىـ الشـعـبـ، وـالـوـطـنـ، وـبـذـلـكـ يـمـكـنـ الـحـفـاظـ عـلـىـ حـيـاةـ طـبـيـعـيـةـ، فـيـ حـالـ تـحـقـقـ التـغـيـيرـ الـمـنـشـودـ مـنـ الـقـوـىـ السـوـرـيـةـ، وـهـوـ دـوـلـةـ لـكـلـ مـوـاـطـنـيـهـاـ.. هـذـاـ الـمـنـطـقـةـ لـيـسـ قـانـونـاـ ثـاـيـتاـ، وـلـاـ سـيـماـ، إـذـاـ أـحـاطـتـ بـالـعـلـوـيـيـنـ، وـبـغـيـرـهـمـ مـنـ الـطـوـائـفـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ ظـرـوفـ الـاحـتـقـانـ الـطـائـفـيـ، وـمـنـ الشـرـقـ الـعـرـاقـ الـذـيـ تـنـذـرـ أـزـمـتـهـ السـيـاسـيـةـ بـيـنـ رـئـيـسـ الـوـزـرـاءـ، نـورـ الـمـالـكـيـ، وـنـائـبـهـ، طـارـقـ الـهـاشـمـيـ بـأـجـوـاءـ خـطـرـةـ بـيـنـ الشـيـعـةـ وـالـسـنـنـةـ.

فـالـخـطـوـرـةـ فـيـ أـنـ يـجـرـ النـاسـ عـلـىـ خـيـارـاتـ لـاـ يـرـيدـونـهـاـ، كـمـنـ حـسـرـ فـيـ وـسـطـ زـحـامـ مـنـ النـاسـ؛ فـتـرـاهـ يـنـدـعـ بـغـيرـ حـرـكـتـهـ الـذـاتـيـةـ.. فـالـخـوـفـ إـنـمـاـ هـوـ مـنـ الـصـرـاعـاتـ السـيـاسـيـةـ الـفـوـقـيـةـ أـكـثـرـ مـاـ هـوـ مـنـ التـنـاقـضـاتـ، أـوـ الـفـرـقـقـ الـمـذـهـبـيـةـ الـطـائـفـيـةـ؛ لـأـنـ غـالـبـيـةـ النـاسـ يـنـهـمـكـونـ فـيـ أـمـورـ حـيـاتـهـمـ الـلـوـمـيـةـ وـشـؤـونـ مـعـاـشـهـمـ، وـقـدـ عـاـشـوـاـ مـعـاـ قـرـونـاـ، دـوـنـ أـنـ يـتـخـلـلـهـاـ الـصـرـاعـ الـطـائـفـيـ إـلـاـ قـلـيلـاـ، ذـلـكـ أـنـ الـقـوـاعـدـ الـدـيـنـيـاـ لـاـ تـرـازـ لـاـ ضـرـورـةـ لـمـتـلـ هـذـهـ الـصـرـاعـاتـ، وـمـاـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ مـنـ قـتـلـ وـتـهـجـيرـ وـتـضـحـيـةـ بـالـمـصـالـحـ وـالـاسـتـقـارـ.. فـإـنـاـ ضـمـنـتـ لـلـعـلـوـيـيـنـ وـغـيـرـهـمـ حـقـوقـ الـمـوـاـطـنـةـ فـلـنـ يـخـتـارـوـاـ الـاحـتـرـابـ الـمـفـضـيـ إـلـىـ الـإـقـصـاءـ وـالـتـهـمـيـشـ. أـوـ إـلـىـ مـصـيرـ مـجـهـولـ.

فـالـخـاسـرـ الـأـكـبـرـ فـيـ هـذـاـ الرـهـانـ هـوـ الـنـظـامـ الـذـيـ لـمـ يـكـنـ يـسـتـنـدـ إـلـىـ كـثـيرـ مـنـ الشـرـعـيـةـ الـدـاخـلـيـةـ، أـصـلـاـ، وـلـمـاـ اـنـدـلـعـتـ الـتـوـرـةـ اـنـكـشـفـ عـنـ مـحـتـلـ، فـيـ ثـيـابـ نـظـامـ وـطـنـيـ مـمـانـ!

